((اللغة الشعرية في اشعار كتاب(النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة)لابن سعيد المغربي (ت685ه)))

أ.م.د. فلاح عبد علي سركال

زين العابدين وفي جنك

07735062490

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة مواطن اللغة الشعرية في اشعار كتاب (النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة) ، واهتم هذا البحث بدراسة الالفاظ و الأساليب اللغوية التي وظفها الشعراء في اشعارهم وقد أظهرت المقدرة على تنويع أساليب البناء النحوي، وفي عملية البناء الأدبي فهي عبارة عن نسق من الابنية اللغوية التي تنصب في قوالب ادبية، لتشكّل الوسيلة الأولى في عملية التواصل بين الأفراد والمجتمعات.

This research aims at studying the poetic language in the book " Al Nejoum Al Zahirah Fe Huli Hedhrat Al Qahirah". This research was interested in studying expressions and the linguistic styles that poets employed in their verses that showed the ability to assort the grammatical building styles and in the literary building which is a form of the linguistic buildings that is constructed in the literary molds; the matters that forms the first device in the communication process between individuals and societies.

الكلمات المفتاحية :

النجوم الزاهرة ، اللغة الشعرية ، الاساليب ،ابن سعيد المغربي.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين

أما بعدُ

فقد تُشكّل الخصائص الفنية ركيزةً رئيسةً تُزيد من تخلي الشعر عن المباشرة لينتقل بالمتلقي عن طريق الخيال إلى عالم الأدب بوساطة اللغة؛ لأنها تحدد أركان الإبداع الشعري، فضلاً عن دورها في نمو الخصائص الفنية داخل البناء الفني ، والسبب يعود في هيمنة اللغة الشعرية على النص؛ بوصفها جزءاً من حياة الفرد و وسيلة مشاركة للتواصل عن طريق تحقق التأثير. وتمييز اللغة الأدبية الإمتاعية عن اللغة المعيارية الخاضعة لقيود القواعد، وهذا يعني أن اللغة منتج النص هي لغة قاصدة لبناء نص، للتتيح للمتلقي تلمس الأبعاد الجمالية والمضامين الأخرى. وجاء البحث في هذا الاتجاه ليدرس اللغة الشعرية في كتاب (النجوم الزاهرة) ،وتضمن البحث تعريفا موجزا بالكتاب والمؤلف ، و تناولت لغة النصوص الشعرية التي وردت في الكتاب ، فدرست الألفاظ من ناحية فصاحتها، وجزالتها، ورقتها، وسهولتها، وسهولتها، وكذلك تضمن الترادف والتكرار والاشتقاق، فضلاً عن ألفاظ الموروث الديني والفاظ السياسة والحروب، ، لندرس بعد ذلك الاساليب من حيث الجملة الخبرية، والإنشائية الطلبية .

التمهيد

التعريف بكتاب (النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة) و جوانب من سيرة حياة ابن سعيد المغربي

أوّلاً: التعريف بكتاب (النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة):

يُعدُّ كتاب النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة من الكتب الفريدة من حيث التأليف والمنهج الذي تم اعتماده، فضلاً عن القيمة العلمية التي يحتويها، وهو جزء من كتاب (المُغرب في حلى المغرب) والذي استغرق تأليفه مائة وخمس عشرة سنة، وألّفه ستّةٌ من أبرز علماء الأندلس، وهم: عبد الله بن إبراهيم الحجاري ، وأحمد بن عبد الملك، وموسى بن محمد، وعبد الملك بن سعيد، ومحمد بن عبد الملك ، وعلي بن موسى المعروف بـ(ابن سعيد المغربي)، وأخذ الناس ينسبون الكتاب إليه بأكملهِ ؛ لأنه اخرجهُ بصورتهِ النهائية [1].

إنّ كتاب (المُغرب في حلى المغرب) مؤلَّفٌ من ثلاثة كتب، خَصّصَ مؤلفوها الكتاب الأول لمصر، والثاني لأفريقيا، والثالث لبلاد الأندلس[2]، وقد تمكّن ابنُ سعيد خلال إقامته في القاهرة من إتمام الجزء الخاص بمصر من كتاب (المُغرب في حلى المغرب)[3]، وقد نُشِرَ سِفرٌ منها في القاهرة سنة 1953م، بتحقيق زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيدة الكاشف، وعنوان هذا الكتاب المنشور (الاغتباط في حلى مدينة الفسطاط)، ثم نُشِرَ قسمٌ آخر من أقسام مصر في القاهرة سنة 1970م، بتحقيق الدكتور حسين نصّار وعنوانه (النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة)[4].

- **منهجه:** يتضح منهج ابن سعيد في ضوء تحديد الخطة والغرض من تأليف الكتاب وتصنيفا له، وفي الأغلب يتّبع ما يُخطط له بدقة في التقسيم والتبويب وهو ما يميز ابن سعيد في مصنفاته[5]، فمنهجه دقيق متعدد الحلقات ومترابط، فهو يراعي الناحية المكانية فيورد تراجم الرجال وأشعارهم، حسب مدنهم وكورهم، ويراعي الناحية الزمانية فيورد التراجم حسب التسلسل الزمني، ثم يراعي الناحية الطبقية فيبدأ بالملوك والأمراء فالأعيان فالعلماء فالشعراء [6]، وقد أوضح علي بن موسى خطته في كتابه، فصور كتابه بهيأة العروس، وهذه العروس لها: منصة، وتاج، وسلك، وحلّة، وأهداب.
- **مصادره:** وأبرز ظاهرة في مؤلفات ابن سعيد المغربي حرصه على ذكر مصادره، ومن المصادر التي اعتمد عليها هي: المصنفات ، و المشاهدة، والرواية الشفوية، وهذه المظاهر الثلاثة مجتمعة تعطي لمصنفات ابن سعيد أهمية كبيرة[7].

اما المصنفات ، يورد ابن سعيد في كتابه اسم الكتاب الذي أخذ منه، قال ابن سعيد في كتابه : " قال صاحب الخريدة: الموفق أبو الحجاج يوسف بن محمد، يعرف بـ ابن الخلال، وهو صاحب ديوان الإنشاء بمصر، وإنسان ناظرهِ وجامع مفاخره، وله قوة على الترسل يكتب كما شاء، عاش فيها وعُطّل في آخر عمره وأُضرّ، ولزم بيته إلى أنّ تعوض منه القبر وتوفّى بعد ملك الناصر لمصر، ثلاث أو أربع سنين، ومن مختار ما أنشد له صاحب الجنان ..."[8].

كما اهتم موسى بن سعيد كثيراً بالرواية الشفوية؛ فهو ينقل مباشرةً من أصحابها عندما يترجم لهم في كتابه ويذكر أسماءهم، ويقول: التقيتُ بفلان ....، وأنشدني فلان...، وهناك شواهد كثيرة منها، قال ابن سعيد: "الزين بن جبريل المصري هو وأبوه من المشتغلين بالدواوين، لقيته بالقاهرة وهو ما خطا عذاره، لطيف الشمائل، حسن الخَلق والخُلق، يحفظ من الشعر البديع، فأنشدني له ولغيره ما تطيبُ به محاضرته وتحسن مناظرته، وبالجملة فهو على صغر سنه كبير القدر فيما يسمع ويقول، فمّما أنشدني من شعره، فاستحسنته قوله ... "[9] :

أمّا المشاهدة فإنّ لها أهمية جغرافية من حيث وصف الطبيعة والعمران وأزياء الناس وعاداتهم، إذ قال ابن سعيد في وصف المناظر الجميلة والخلّابة فيها: "أعجبني في ظاهر بركة الفيل؛ لأنها دائرة كالبدر، والمناظر فوقها كالنجوم، وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل، وتسرج أصحاب المناظر على قدر همّتهم وقدرتهم، فيكون بذلك لها منظر عجيب ... "[10].

ثانياَ: جوانب من سيرة حياة ابن سعيد المغربي :

- **اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:** هو علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن سعد[11]، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل عمار بن ياسر(رضي الله عنه)[12]، ويُكنّى أبا الحسن[13].
- **ولادته ونشأته:** ولد في يوم الثلاثاء الموافق الثاني والعشرين من شهر رمضان المبارك وكان ذلك في عام (610 هـ) بقلعة (يحصب[14])، إذ نشأ في ظل أسرةٍ عُرفت بحب العلم والأدب ومتابعته والاهتمام به، إذ مثّلت أسرته البيئة العلمية الأولى التي تلقّى فيها تعليمه الأول، ثم انتقل إلى مدينة إشبيلية ، وفيها تلقّى علومه على يد عدد من علماء الأدب والنحو واللغة، ومنهم أبي علي الشلوبين النحوي(ت645هـ)، وأبي الحسن الدباج(ت646هـ)، وابن عصفور(ت665 هـ) وغيرهم ، فكان لوجوده فيها الأثر الكبير في تطوير ثقافته الأدبية[15].
- **شيخوخته ووفاته:** بعد هذه الرحلات الطويلة، نزول بساحل مدينة (إقْليبيا) من أفريقيا في جمادي عام (652 هـ)،،إلى أن توفّي ، إلّا أنّ العلماء والمؤرخين قد اختلفوا في سنة وفاته ومكان دفنه، إذ ذكر صاحب كتاب فوات الوفيات أنّ ابنَ سعيد توفّي بدمشق في شعبان سنة(671هـ)[16]، و تبعه في هذا الرأي صاحب كتاب "المنهل الصافي"[17]، وهنالك علماء آخرون خالفوا الفريق الأول، إذ نسبوا وفاته إلى سنة(685هـ) في تونس، ومنهم: المقرّي التلمساني[18]، وابن الخطيب[19]، وتابعهما السيوطي(911ه)[20]، وابن فرحون[21].
- **مؤلفاته**: خَلَّفَ ابنُ سعيد آثار علمية ضخمةً وصل أقلُّها وضاع أكثرُها، إذ كانت مصنفاته كثيرة ومتنوعة، ومنها: اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، والجغرافيا[22]، وديوان ابن سعيد[23]، و الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد[24] ، ،والغراميات[25]، و الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة[26]،وكنوز المطالب في آل أبي طالب[27]، و المرزمة[28] ،والمرقصات والمطربات[29]،و المشرق فيما يحاضر به من آداب المشرق[30] ،والمُغرب في حلى المغرب[31] ، و نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب[32]،والنفحة المسكيّة في الرحلة المكيّة[33].

اللغة الشعرية:

أولًا: الألفاظ:

توطئة:

إن الألفاظ أحد العناصر أو الأجزاء الرئيسة التي يتم بناء القصيدة عليها، عن طريق ضم بعضها إلى بعضها لآخر، وقد أشار النقاد قديما إلى خصوصية اللغة الشعرية، وإذ أنها تختلف عن لغة الفنون الأدبية الأخرى ، وباستقراء لغة الشعر ومقارنة المعجم اللفظي للشعراء على مرّ العصور يتبين أن هناك بعض المؤثرات التي تؤثر في ألفاظهم، وتشكل المعجم الشعري لديهم، ومن هذه العوامل:

1) الثقافة اللغوية:

إن قدر الثقافة اللغوية وما يكون عند الشاعر من حصيلة معرفية مصدرها رواية أشعار من سبقوه، يُسهم إلى حد بعيد في تشكيل المعجم الشعري لأي شاعر؛ ولذلك كانت رواية أشعار القدماء وحفظ عيون الشعر أحد أهم الأركان التي تبنى عليها شخصية الشاعر

2) الحياة الاجتماعية:

هناك علاقة قوية بين طريقة الأديب الخاصة في توظيف اللغة، والطريقة التي استعمل بها هذه اللغة في المجتمع؛ فحين ندرس طرق التعبير عند فرد، أو جماعة، أو عصر، فنلحظ أن الفرد -من حيث إنه يختار المادة التي أعدتها اللغة- يتأثر بالحساسية اللغوية لجماعته وعصره[34]، وهذا ما نتلمسه في حقيقة اللغة الشعرية لكل مرحلة من مراحل الأدب، وحتى وقتنا الحاضر.

3) الطبيعة الشخصية للشاعر نفسه:

تتحكم شخصية الشاعر إلى حد كبير في طريقة تخيره لألفاظه، فرقيق الطبع ترق ألفاظه، وتسهل فقره، وتلين عباراته، والخشن الجافي تجزل ألفاظه، وتوجز جمله، وتقوى تعابيره؛ إذ كانت الطبائع تجذب إليها من التراكيب والألفاظ ما يلائمها رقة وجفاء[35].

السمات اللفظية في شعر كتاب النجوم الزاهرة:

- **الفصاحة**: تعد الفصاحة عماد رئيس في بنية النص ولاسيما الأدبي منها، وقبل الوقوف على نماذجها لا بدَّ أن نعرف بها في اللغة والاصطلاح، وعلى وفق مايلي:-

الفصاحة في اللغة: مصدر بمعنى الإبانة والظهور، وفعله فَصُحَ يَفْصُح بمعنى إي: صار فصيحا، وأفصح عما في نفسه أي: كشفه وأبانه[36].

الفصاحة في الاصطلاح: خلوص الكلمة (اللفظ) من عيوب أربعة، هي: الغرابة، والكراهة في السمع، وتنافر الحروف، ومخالفة القياس اللغوي[37]، وهذا يظهر من خلال تأمل قول الشاعر عمارة بن علي اليمني[38]: [البسيط]

رميتَ يا دهرُ كفَّ المجدِ بالشللِ ... وجِيدَه بعد حسنِ الحَلْيِ بالعَطل
سعيتَ في منهجِ الرأي العثورِ فإن ... قدرتَ من عثرات السعيِ فاستقل
مررت بالقصر والأركان خالية ... من الوفودِ وكانت قبلة القُبَل
فمِلتُ عنها بوجهي خوفَ منتقدٍ ... من الأعادي ووجهُ الود لم يمل
أسبلت من أسفٍ دمعي غداة خلت ... رِحابكم ودتْ مهورةَ السبلِ

تظهر في هذا النص ألفاظاً خاليةً من الغرابة، أي: أنَّ المتلقي لا يحتاج في معرفة معناه إلى البحث في كتب معاجم اللغة[39]، وكذلك لا نجد فيها ألفاظاً يمجها السمع مثل لفظ (الجرشي) في بيت المتنبي(354ه) الذي تمثَّلَ به البلاغيون للكراهة في السمع[40] ، قال[41]: [المتقارب]

مُبَارَكُ الاسْمِ أغَرُّ اللَّقَبْ ... كَرِيمُ الجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ

وردت الأبيات السابقة واضحة المعاني، يعرفها كل من له رتبة التوسط في الثقافة اللغوية والأدبية، فضلاً عن ذلك لا نجد في ألفاظ هذا النص شيئاً من تنافر الحروف، فإن ألفاظها كلها لا تتداخل أصواتها ولا تتقارب مخارج حروفها بحيث يركب بعضها بعضا، ويصعب النطق بها[42]؛ وهذا لا نتلمسه في سائر الألفاظ التي تشكلَّت منها الأبيات ونجد مثل ذلك قول ابن هانئ الأندلسي[43]: [الطويل]

وَإِن يَكُ فِي مِصْرٍ ظِمَاءٌ لِمَوْرِدٍ ... فَقَدْ جَاءَهُمْ نِيلٌ سِوَى النِّيلِ يَهْرَعُ
وَيَمَّمَهُمْ مَنْ لَا يَغَارُ بِنِعْمَةٍ ... فَيَسْلُبُهُمْ لَكِنْ يَزِيدُ فَيُوسِعُ

ورد في النص مثال آخر لظاهرة فصاحة الألفاظ؛ فألفاظها بعيدة عن الغرابة والوحشية على خلاف المعتاد في ألفاظ قائلهما الشاعر ابن هانئ الأندلسي الذي تتسم ألفاظه بالقعقة والحرص على اختيار الألفاظ الغريبة الذي ربما يصل به إلى الغلو في ذلك[44]. قال ابن سعيد المغربي[45]: [الطويل]

سَقَى اللهُ أَرْضًا كُلَّما زُرْتُ رَوْضَها ... كَسَاهَا وَحَلَّاهَا بِزِينَتِهِ القرط
تَجَلَّتْ عَرُوسًا وَالمِيَاهُ عُقُودُهَا ... وَفِي كُلِّ قُطر من جوانبها قرط

مثَّل النص انموذجا مائزاً لاختيار الألفاظ الفصيحة ونظمها بما يلائم الجوانب الموسيقية التي يتميز بها فن الشعر على المستوى الداخلي؛ بينما يميل الشاعر إلى صنع الجناس الناقص بين اللفظيتن (قطر) و (قرط)، لكن

الشاعر مع حرصه على هذه الجوانب الموسيقية بين الألفاظ لم يغفل اختيار الألفاظ الفصيحة التي تخدم تلك الجوانب معنويا ولفظيا؛ فلم تكن من الكلمات غريبة وحشية، أو نازلة إلى لغة العوام.

- **الجزالة**:

الجزالة في اللغة: على زنة فَعالة من الجَزْل، وهو ما عظم من الحطب، ثم استعير، فقيل: أجزل في العطاء. أي أكثره وأعظمه، والجزيل: العظيم، واللفظ الجَزْلُ: خلاف الركيك، والجزالة: القوة والإحكام، وكلام جزل أي قوي شديد[46]، والجزالة في الاصطلاح النقدي: اللفظ الذي ليس" بالمغربِ المستغلق البدوي، ولا السفساف العامي، ولكن ما اشتد أسره، وسهل لفظه، ونأى واستعصب على غير المطبوعين مرامه، وتوهم إمكانه"[47]. وعادةً ما تستعمل الألفاظ الجزلة في الفخر، والمديح، ووصف المعارك والحروب.

وهذه الصفات تظهر جلية في قول الشاعر كمال الدين بن أبي جرادة[48]: [الوافر]

وَقَـالُوا تَـابَ عَنْ شُـــرْبِ الحُمَيَّـا فَـقُـلْـتُ لَـهُـمْ: كَـذَبْـتُـمْ، لَا يَـتُـوبُ
وَكَـيْـفَ يَـتُـوبُ عَـنْ فِـعْـلٍ دَنِـيءٍ فَـتًـى قَـدْ جُـمِّـعَـتْ فِـيـهِ الـعُـيُـوبُ

إنَّ الألفاظ التي نظم في ضوئها الشاعر هذا النص، ترتفع عن لغة العامة؛ فهم مثلًا لا يسمون الخمر (حميا)، ولكن هذه اللفظة مع ذلك ليست مغربة أو بعيدة المعنى، فهي مع إرتفاعها عن لغة العوام وإتصافها بالقوة والجزالة ليست غريبة، وكذلك أيضاً لفظ (دنيء) فهو وإن كان غير غريب أو وحشي لكنه مع ذلك غير مبتذل، فارتفاع هذين اللفظين عن لغة العوام، وعدم إيغالهما –مع ذلك- في الغرابة واستغلاق المعنى هو عين الجزالة التي تتميز بها الألفاظ [49].

وقال الشاعر محمد بن غالب الصافي[50]: [الكامل]

مَـازَالَـتِ الأَمْحَـالُ تَـأخُـذُهُ حَـتَّـى غَـدَا كَـذَوَابَـةِ الـنَّـجْـمِ

قصد الشاعر من اختيار الألفاظ الجزلة العربية العليا، إذ إن بعض ألفاظه لا يعرف المتلقي معانيها–الا اذا كانت عنده بعض الثقافة اللغوية- إلا بعد مطالعة بعض المعاجم اللغوية، من ذلك لفظ (الأمحال) وهو جمع مَحْل –بفتح فسكون- ومعناه في اللغة "المجاعة والفقر الشديد والجدب وقلة المطر"[51]، وليس أدل على جزالة هذا اللفظ من دورانه وكثرته في أشعار الجاهليين، ومنه قول طرفة بن العبد البكري[52]: [الرمل]

حُبُسٌ فِي المَحْـلِ حَتَّى يُفْسِـــحُوا لِابْـتِـغَـاءِ الـمَـجْـدِ أَوْ تَـرْكِ الـفَـنَـدْ

إن دوران اللفظة في الشعر الجاهلي دليل جازم على جزالتها؛ فالشعراء الجاهليون كانوا على عادة واحدة من جزالة الألفاظ وقوتها لا يخالف منهم في ذلك أحد[53].

- **الرقة:**

الرقة في اللغة: عرَّفها ابن منظور قائلاً:" رقق: الرقيق: نقيض الغليظ والثخين. والرقة: ضد الغلظ، رق يرق رقة فهو رقيق ورقاق وأرقه ورققه والأنثى رقيقة ورقاقة"[54].

الرقة في الاصطلاح: غَايَةُ إيضاحِ لَطِيفِ الوجدان من المتكلِّم، أو التلطُّفُ مع السَّامع[55]، والرقة لا تصلح في كل موضع ولا مع كل غرض من أغراض الشعر، ولكن لها مواضع معينة، مثل الغزل، أو الاستجداء والاستعطاف والاعتذار، وطلب العطايا؛ وذلك متحقق في ألفاظ مثل (الحمد – مؤملا – اقتنى - المنى) في قول هبة الله بنم عبد الغافر الصواف[56]: [الطويل]

كَرِيمٌ رَأَى الـدُّنْيَـا تَزُولُ وَأَهْلَهـا فَـأَيْقَنَ أَنَّ الحَمْـدَ أَحْمَـدُ مَـا اقْتَنَى
فَكُنْ وَاثِقًـا يَـا مَنْ أَتَـاه مُؤَمِّلًا فَقَدْ وَصَـلَـتْ يُمْنَـاكَ مِنْـه إِلَى المُنَى

يعد فن الغزل هو أكثر الفنون الشعرية التي يكون من لوازمه رقة الألفاظ، وهذا ما يلاحظ في قول السلطان الأعظم أبي الحسن نور الدين ابن السلطان الناصر صلاح الدين[57]: [الكامل]

وَحَلَفْتَ أَنّكَ سَـوْفَ تَهْجُرُ عَاشِـقًا وَتُـذِيقُـهُ مِنْ هَجْرِكَ الـدَّاءَ الـخَفِي
فَوَفَيْـتَ ثُمَّ حَلَفْـتَ أَنْ سَـتُـذِيقَـهُ بَـرْدَ الـوَفَـاءِ إِذَا هَـجَـرْتَ وَلَـمْ تَـفِ

إن الشاعر هنا في موقف الغزل واستعطاف المحبوبة يحرص أن تكون ألفاظه انعكاسا لهذا الموقف ومعبرة عنه بشدة، وقد أشار النقاد القدماء إلى أن هذا يليق بموقف الغزل، وأن استعمال الألفاظ ذات الجرس العالي، أو الألفاظ ذات الأصوات المفخمة مما لا يليق بغرض الغزل، وقد ضرب القاضي الجرجاني مثلا لهذا بقول الشاعر[58]: [الوافر]

خَشُـنْـتِ عَلَيْـهِ أُخْـتَ بَنِي الخُشَـيْنِ وَأَنْـجَـعَ فِـيـكِ قَـوْلَ الـعَـاذِلَـيْـنِ

ومثال الرقَّة أيضاً في شعر كتاب (النجوم الزاهرة) قول الأمير جعفر بن شمس الخلافة المصري[59]: [الكامل]

هِيَ شَـدَّة يَـأْتِي الرَّخَـاءُ عَقِيبَهَـا وَأَسًـى يُبَشِّـرُ بِالسُّـرُورِ العَاجِلِ
وَإِذَا نَـظَـرْتَ فَـإِنَّ بُـؤْسًـا زَائِـلًا لِـلْـمَـرْءِ خَـيْـرٌ مِـنْ نَـعِـيمٍ زَائِـلِ

يبدو أن الشاعر في هذا النص أراد أن يخفف من وقع مصيبة أو بلية وقعت على أحد من الناس؛ ولذا فالشاعر يترفق ويختار أرق الألفاظ وقعا على المستمع كألفاظ (الرخاء – السرور - نعيم)، ولا مبالغة في القول بأن موضوع هذين البيتين أو فكرتهما هي من تفرض على الشاعر أن يرقق ألفاظه قدر الإمكان؛ فالأغراض –عند الشاعر الحاذق- هي الدافع له على اختيار ألفاظ معينة؛ وفي هذا يقول القاضي الجرجاني (ت: 392هـ): "ولا آمرُك بإجراء أنواع الشعر كلّه مُجرى واحداً، ولا أن تذهب بجميعه مذهبَ بعضِه؛ بل أرى لك أن تقسّم الألفاظ على رتَب المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحُك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك؛ ولا هزْلك بمنزلة جِدِّك، ولا تعريضُك مثل تصريحك؛ بل ترتّب كلاً مرتبتَه وتوفّيه حقّه، فتلطِّف إذا تغزّلت، وتُفخِّم إذا افتخرت، وتتصرّف للمديح تصرُّف مواقعه"[60].

- **سهولتها**:

تعد سهولة الألفاظ ووضوحها إحدى السمات الأساسية التي يشترط أن توجد في الكلمة حتى يُحكم لها بالفصاحة والجودة وحسن التعبير الفني داخل النصوص الأدبية؛ فقد جعل البلاغيون كون الكلمة غريبة وحشية يحتاج فهمها إلى البحث الطويل في مطولات كتب اللغة والمعاجم عيبا مخلا بفصاحتها[61].

وقد كان شعراء الجاهلية -من حيث إنهم عرب خلص- يقل عندهم الشعر الذي يمكن أن يوصف بغرابة الألفاظ ووحشيتها؛ فقد كانت العرب ومَنْ تبعها من السلَف تجري على عادةٍ في تفخيم اللفظ لم تألفْ غيرَه، ولا أنِسها سواه، فلما اتسعت مملكة الإسلام، وانتشر العرب في البلاد وخالطوا الأعاجم اختار الناسُ من الكلام ألينَه وأكثره سلاسة ووضوحا وترقّقوا ما أمكن، وكسَوا معانيَهم ألطفَ ما سنح لهم من الألفاظ[62].

ومثال ذلك قول محسن بن إسماعيل[63]: [الطويل]

أَسَـــيِّـدَنَـا مَـازَالَ فِعْلُـكَ مَـذْهَبًـا وَعَنْ مَـذْهَـبِ الإِحْسَـــانِ غَيْرُكَ عَـادِلُ
إِذَا فَعَـلَ النَّـاسُ الجَمِيـلَ تَكَلُّفًـا فَـإِنَّـكَ لِـلِـمْـعَـرُوفِ بِـالـطَّـبْـعِ فَـاعِـلُ

تعد ألفاظ النص سهلةً إلى حد أنها جارية بين العوام؛ فهي من ألفاظ الحديث اليومي بينهم، لا تحتاج إطلاقا إلى أي معجم لغوي يكون بجانب القارئ ليطلع عليه ويكشف فيه عن معانيها؛ فألفاظ مثل (مذهب – عادل – الجميل – المعروف) كلها واضحة المعاني مستعملة في حديث الناس العادي، وليس لها مع ذلك جرس قوي، أو قعقة فخمة، فكما أنها سهلة وقريبة في دلالتها على المعاني –سهلة كذلك في نطقها وجريانها على لسان المتكلم. وظهرت السهولة كذلك في كتاب الأمير جعفر بن شمس الخلافة المصري[64]: [الطويل]

فَغَيْرُ جَمِيـلٍ فِي الهَوَى أَنْ تُهِينَنِي وَأَنْـتَ أَعَـزَّ الـنَّـاسِ كُـلِّـهِـمُ عِـنْـدِي
وَرُبَّ جَـهُـولٍ عَـابَنِـي بِمَـحَـاسِـنِـي وَيَقْبُحُ ضَـوْءُ الشَّـمْسِ فِي الأَعْيُنِ الرُّمْـدِ

اورد الشاعر في النص فنيَّ الغزل والحكمة؛ ومن ثم اختار الشاعر لهما ألفاظًا سهلة ميسورة تجري أغليها على ألسنة العوام؛ فليس من شأن العاشق الذي يستعطف محبوبته أن يتقعر في الألفاظ أو ينتقي الغريب منها، بل يجب عليه -كما سبقت الإشارة- أن يترقق ويتسهل قدر الإمكان.

ظواهر لغوية تتعلق بالألفاظ:

- **الترادف:**

الترادف في اللغة: من "الرِّدْفُ ما تَبِعَ الشيءَ. وكل شيء تَبِع شيئاً فهو رِدْفُه، وإذا تَتابع شيء خلف شيء فهو التَّرادُفُ، والجمع الرُّدافَى ... ويقال :جاء القوم رُدافَى؛ أي :بعضهم يتبع بعضاً"[65].

الترادف في الاصطلاح: هو دلالة ألفاظ مختلفة على معنى واحد باعتبار واحد[66]، ونلحظ تواشجاً دلالياً بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي، إذ كليهما يدلان على المتابعة. مثل قول الشاعر الوزير الأفضل أبو القاسم شاهنشاه[67]: [الرجز]

لَا غَـرْوَ أَنْ نِـلْـنَـا الأَمَـلْ بَـعْـدَ تَـرَاخٍ وَمَـهَـلْ
لِـكُـلِّ شَـــيْءٍ مُـدَّةٌ تُـفْضِـــي بِـهِ إِلَـى الأَجَـلْ

تظهر ظاهرة الترادف اللفظي من خلال اللفظتين (تراخ ومهل)، فالتراخي معناه التباطؤ عن الشيء والقعود عنه[68]، والمهل كذلك هو التؤدة والبطء في الشيء، ويطلق كذلك على السكون والفتور عن الأمر[69]؛ فالكلمتان مترادفتان.

ومنه قول الأمير جعفر بن شمس الخلافة المصري[70]: [البسيط]

وَلَيْسَ يَجْمَعُ شَـــمْلِي بَعْدَ فُرْقَتِـهِ إِلّا مُـفَـرِّقُ شَـــمْـلَ الـمَـالِ وَالـغِـيَـرِ
لُطْفُ العَزِيزِ وَإِحْسَـــانُ العَزِيزِ هُمَـا يُقَصِّـــرَانِ الـذي قَـدْ طَـالَ مِنْ سَـــفَرِ

تظهر ظاهرة الترادف بين اللفظتين (اللطف) و (الإحسان)؛ فالأول معناه الرفق بالشيء وهو نفس معنى الثاني؛ ولذلك فسر العلماء اسم الله تعالى (اللطيف) بأنه الذي يحسن إِلَى عباده فِي خَفَاء وَستر من حَيْثُ لَا يعلمُونَ[71]، ولهذا المعنى ورد في قول الله تعالى: (اللَّه لَطِيف بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاء وَهُوَ الْقَوِيّ الْعَزِيز)[72].

- **التكرار:**

التكرار في اللغة: هو مصدر على وزن (تفعال) –بفتح التاء- من الفعل (كرر) الثلاثي بمعنى أعاد الشيء[73]، والمصدر الذي على وزن (تفعال) مصدر دال على الكثرة[74].

و**التكرار في الاصطلاح**: يقصد به أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى؛ لأجل غرض مقصود مثل تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد، أو لتقرير المعنى في النفس[75]، ومن نماذجه في كتاب (النجوم الزاهرة) قول الشريف هاشم بن إلياس المصري[76]: [الطويل]

كَأَنّ بَيَاضَ البَدْرِ مِنْ خَلْفِ نَخْلَةٍ بَياضُ بَنَانٍ فِي اخْضِرَارِ نُقُوشِ

لقد كرر الشاعر في هذا البيت كلمة (بياض) مرة في الشطر الأول ومرة في الشطر الثاني، والتكرار في غرض الوصف يراد منه توضيح المعنى الذي يصفه الشاعر وهو وصف البدر بالبياض؛ فإن تكرار الوصف يؤدي إلى تثبيته في النفس[77].

وقال الأمير أبو الثريا[78]: [الطويل]

يا رسول الحبيب بالله قل لي هل رأيت الحبيب يُعنى بذكري
فلقد شفني وأسهر طرفي منه هجر أقام مدة شهر

في البيت الثاني تكرار بديع بين لفظتي (**الحبيب**) و (**الحبيب**)، وسر الإبداع في هذا التكرار أنه –مع ما يعطيه من جرس موسيقي- في اختلاف في المعنى؛ حيث إن تكرار اللفظ بذات معناه معيب عند النقاد، حتى قال فيه ابن رشيق القيرواني (ت: 463هـ): "إذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه"[79].

- **الاشتقاق:**

الاشتقاق في اللغة: أخذ شق –بكسر الشين- الشيء، أي جانب من جوانبه[80]. **أما الاشتقاق في الاصطلاح: فيراد به** أخذ كلمة من أخرى لمناسبة بين الكلمتين في المعنى ولو مجازا[81]؛ ومن ذلك ما نلحظه في قول ابن الماشطة[82]: [الطويل]

أَتَى العِيدُ وَالنَّوْرُوزُ مُجْتَمِعا مَعًا وَشَمْلِي بِمَنْ أَحْبَبْتُهُ غَيْرُ جَامِعِ
فَعَيَّدْتُ فِي ثَوْبٍ جَدِيدٍ مِنَ الضَّنَى وَنَوْرَزْتُ مَعْ صَحْبِي بِمَاءِ المَدَامِعِ

ورد في النص لفظي(مجتمعا، وجامع)، وكلاهما اشتقا من الفعل جمع فـ"جامع، وجَمُوع أيضاً، ومِجْمَع، وجَمَّاع، والمفعول: مَجْمُوع"[83]، جميعها تعود للفعل (جمع) وهو فعل مزيد.

وقال الأمير جعفر بن شمس الخلافة المصري[84]: [الطويل]

يُقَصِّرُ عَنْ أَدْنَى مَوالِيهِ قَيْصَرٌ وَيَصْغُرُ فِي أَتْبَاعِهِ شَأْنُ تُبَّعِ

قوله (**يُقَصِّرُ، و قَيْصَرٌ**)، فكلاهما من الفعل (قصر)، وهو خلاف الطول، وذهب ابن منظور إلى أنَّ" قصر الشيء بالضم يقصر قصرا : خلاف طال ، وقصرت من الصلاة أقصر قصرا"[85]، ويفرز لنا الاشتقاق تنوع دلالي، ونسج متنوع في ضوء الجذر الواحد، واستعمله الشعر بغية إحداث تنوع موسيقى وعمق لغوي دلالي.

منابع الألفاظ:

- **ألفاظ الموروث الديني:**

اللغة هي مسار الألفاظ، إلا أنَّ ألفاظ الموروث الديني تكمن بأنها" الألفاظ النابعة من المفردة القرآنية التي استدعيت إلى سياق نبوي وروائي، وحتى أدبي"[86]، وهذا ما نتلمسه في قول ابن فارس**(ت: 395هـ):** "كَانَت العربُ فِي جاهليتها عَلَى إرثٍ من إرث آبائهم فِي لُغاتهم وآدابهم ونسائكهم قَرابينهم، فلما جاءَ الله -جلّ ثناؤه- بالإسلام حالت أحوالٌ، ونُسِخَت دِيانات، وأبطلت أمورٌ، ونُقِلت من اللغة ألفاظ من مواضعَ إِلَى مواضع أخَر بزيادات زيدت، وشرائع شُرِعت، وشرائط شُرطت؛ فَعفَّى الآخرُ الأوّلَ"[87]، وهذه الفقرة توضح أن المقصود بـــ(**ألفاظ الموروث الديني**) هي تلك الألفاظ التي كانت موجودة قبل في لغة العرب بمعان تختلف عن تلك المعاني التي وردت بها في الإسلام أو في القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي بلغت حدا جعل بعض العلماء يفردونها بكتب خاصة؛ وذلك مثل كتاب (الزينة في الكلمات الإسلامية العربية) لأبي حاتم الرازي، وقال ولي الدولة ابن خيران[88]: [الرمل]

أَنَـا شِـــيعِيٌّ لِآلِ المصْـــطَفَى غَيْرَ أَنِّي لَا أَرَى سَـــبَّ السَّـــلَف

هذا البيت تقريبا مأخوذ بالكامل من معجم الموروث الديني؛ فمن الألفاظ التي أخذها من هذا المعجم (شيعي)، والآل ولفظ (المصطفى) وهو من أسماء رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم- وكذلك لفظ (السلف) فهو لفظ في الاصطلاح الإسلامي يراد به الصحابة ، ويراد به في بعض الأحيان القرون الثلاثة الأول المشهود لها بالخير[89].

ومنه ما تلحظه في قول الشاعر القاضي الفاضل[90]: [البسيط]

وَافَى الصِّـــيَامُ فَوَافَتْنَـا قَطَـائِفُـهُ كَمَـا تَسَـــنَّمَـتِ الكُثْبَـانُ مِنْ كَثَـبِ

أورد الشاعر لفظ (الصيام) قصد به معناه الشرعي، وأراد به زمنه الذي هو شهر رمضان، كما قال الله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [91].

- **ألفاظ السياسة والحرب:**

إنَّ هذا النوع من الألفاظ شائع جدا في كتاب (النجوم الزاهرة)، والأمثلة عليه كثيرة؛ لأنه كتاب موسوعي خص ابن سعيد جزءاً منه للحديث عن الحكام والأمراء والقادة والوزراء وما يتعلق بهم من اشعار ، واحداث تاريخية، وسياسية ، وحربية، ومن الأمثلة على ذلك قول الوزير أبي يوسف يعقوب بن كلس [92]: [الكامل]

قَـلْ لِأَمِيرِ الـمُؤْمِنِينَ الّـذِي لَـهُ الـعُـلَا وَالـمَـثَـلُ الـثَّـاقِـبُ
طَـائِـرُكَ الـثَّـاقِـبُ لَـكِـنَّـهُ لَـمْ يَـأْتِ إِلَّا وَلَـهُ حَـاجِـبُ

نجد في النص ألفاظ السياسية التي تشير إلى المناصب السياسية التي كانت موجودة في ذلك العصر، فمن ذلك لفظ (**أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ**) وهو منصب ديني، الذي يعني به الخليفة الذي له إمامة عامة أمور الدين والدنيا، وهو المنصب السياسي الأعلى الذي لا يوجد مثله الآن ، وكذلك يذكر الشاعر لفظ (**حَاجِبُ**) الذي يشير إلى منصب سياسي آخر وهو الذي قد يعني –في العصر الحديث- منصب (السكرتير) الذي ينظم دخول الناس للقاء الحاكم[93].

وأما ألفاظ الحروب فمن نماذجها قول الوزير أبي الغارات الصالح طلائع[94]: [الطويل]

هُوَ المَلِـكُ المَيْمُونُ وَالصَّـــالِحُ الّـذِي لَـهُ المُلْـكُ بَعْـدَ اللهِ وَالعِزَّ والفَخْرُ
أَيَـادِيـه بِـيضٌ مَـا تَـزَالُ كَسَـــيْـفِـهِ وَأَسْـــيَـافُـهُ حُمْرٌ، وَأَكْنَـافُـهُ خُضْـــرُ

ذكر الشاعر لفظة من الفاظ السياسة (الملك) وهو منصب سياسي مهم ، وايضا ذكر آلة رئيسة من آلات الحرب قديما وهي (السيف)، ومبالغة في الوصف وصف الأسياف بالاحمرار، وهي إشارة إلى دماء الأعداء المخُضبة بها؛ لقوته وشدة بطشه، والسيف خير من يمثل ألفاظ الحرب.

نخلص إلى أنَّ تنوع استعمال الألفاظ بين الجزالة والرقة والفصاحة والسهولة ، فضلا عن تنوع مصادرها، وسعة الملكة الفكرية التي حققت هذه السعة؛ لتكون هذه النصوص وسائل تعريفية بقصدية من منتج النص.

ثانيا: الأساليب:

توطئة:

يستعمل النقاد مصطلح (الأسلوب) قاصدين به العنصر اللفظي الذي يتألف من الكلمات فالجمل والعبارات، وذلك من حيث طريقة اختيار هذه الأدوات ونظمها؛ لتؤثر في نفس القارئ أو السامع، وربما قصروه على الأدب وحده دون سواه من العلوم والفنون[95].

ولقد مرت دراسة (الأسلوب) في التراث العربي بمراحل كثيرة يطول ذكرها وتتبعها، إلا أنها تعمقت واستقرت أصولها ومباحثها على يد عبد القاهر الجرجاني؛ إذا جعله مساويا لمصطلح آخر هو مصطلح (النظم) الذي عرفه بقوله:"اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"[96].

وعلى هذا الطريق الذي رسمه عبد القاهر سار البلاغيون بعده؛ فإذا كان الأساس الذي وضعه هو (الذي يقتضيه علم النحو) فقد نظر البلاغيون إلى (الأسلوب) من حيث القالب النحوي له، وقسموه -بناء على هذا القالب- على قسمين:

القسم الأول: الأسلوب الخبري، وهو ما يجوز الحكم على مفهومه بالصدق أو بالكذب[97].

والقسم الثاني: الأسلوب الإنشائي، وهو ما لا يجوز الحكم عليه لا بالصدق ولا بالكذب[98].

الجملة الخبرية: ينقسم الخبر على ثلاثة أقسام، هي:-

- **الخبر الابتدائي:**

الخبر الابتدائي هو ذلك الخبر الذي يلقى إلى مخاطب خالي الذهن عن مضمونه، وعلامة هذا الخبر –من وجهة نظر البلاغيين- يحسن ألا يكون مؤكدا بأي أداة من أدوات التأكيد[99]، من ذلك قول الأمير أبي الطاهر قمر الدولة[100]: [الخفيف]

لَا يَـظُـنَّ الـعَـدُوُّ أَنَّ انْـحِـنَـائِـي كبر عِنْـدَمَـا عَـدِمْـتُ شَـبَـابِي
ضَـــاعَ مِنِّـي أَعَزُّ مَـا كَـانَ مِنِّـي فَـأَنَـا نَـاظِـرٌ لَـهُ فِـي الـتُّـرَابِ

في هذين البيتين جملتان خبريتان ابتدائيتان قد خلتا من أي مؤكدات، وهما: جملة (**ضَاعَ مِنِّي أَعَزُّ مَا كَانَ مِنِّي**)، وجملة (**فَأَنَا نَاظِرٌ لَهُ فِي التُّرَابِ**)؛ فهاتان الجملتان قد ألقيتا إلى مخاطب خالي الذهن من أي إنكار لهما؛ لذا لم يؤكدهما الشاعر بأي لفظ من ألفاظ التوكيد.

ومنه أيضاً قول الشاعر صفي الدولة أبو عبد الله الكتامي[101]: [المنسرح]

قَـرَنْـتَ بِـالـوَرْدِ خَـدًّا أَرَقَّ مِـنْـهُ وَأَنْـدَى
فَضَـارَعَ الـنُّـورُ نُـورًا وَعَـانَـقَ الـوَرْدُ وَرْدَا

في هذين البيتين وردت ثلاث جملة خبرية طلبية قد خلت من أي ألفاظ مؤكدة، وهي:

1) البيت الأول كله، حيث مثل من أوله إلى آخره جملة خبرية فعلية.
2) جملة (**فَضَارَعَ النُّورُ نُورًا**).
3) جملة: (**وعَانَقَ الوَرْدُ وَرْدَا**)، وهما أيضا جملتان خبريتان فعليتان.

- **الخبر الطلبي:**

وهو الذي يلقى إلى مخاطب متردد بين تصديق الخبر وتكذيبه، وعلامة هذا الخبر أن يكون مؤكدا بلفظ واحد من الألفاظ المؤكدة[102]، كما في قول الشاعر ابن الأنصاري[103]: [الطويل]

وَإِنِّي إِذَا لَمْ يَسْـمَحِ الـدَّهْرُ بِـالمُنَى فَلِي فِيَ كَفَـالَاتِ الرِّمَـاحِ مَـآرِبُ

هذا البيت كله يمثل جملة خبرية واحدة، وهو من الخبر الطلبي؛ اذ إن الشاعر قد أكد الخبر بمؤكدٍ واحد وهو (إن) في قوله: (**وَإِنِّي إِذَا لَمْ يَسْمَحِ الدَّهْرُ بِالمُنَى**...).

- **الخبر الإنكاري:**

الخبر الإنكاري هو ما يوجه إلى مخاطب ينكره إنكارا صريحا؛ ومن ثم يصبح من اللازم توكيده بأكثر من مؤكد، إذ تزيد المؤكدات في الجملة الخبرية بزيادة درجة الإنكار لدى المخاطب[104]، وذلك كما في قول ولي الدولة بن خيران[105]: [الكامل]

إِنِّي لَأَعْـذِرُ حَـاسِـــدِي كَرَمًـا مِـنِّـي وَأَرْحَـمُـهُ عَـلَـى كَـمَـدِه

في الجملة الخبرية (**إِنِّي لَأَعْذِرُ حَاسِدِي**) مؤكدان اثنان، وهما (إن) واللام المزحلقة؛ ومن ثم فالخبر في هذه الجملة خبر إنكاري، وذلك لأن مضمون الجملة أراد الشاعر أن يجعله غريبا لدرجة أن المتلقي ينكر وجوده صراحة؛ فهو يقول إنه يعذر حاسديه، وهذا الأمر غريب الوقوع نادر الحدوث؛ ومن ثم كان إنكاره أمرا متوقعا فأكد الشاعر الجملة الخبرية بمؤكدين.

الجملة الإنشائية: الانشاء ينقسم على قسمين : انشاء طلبي ، وانشاء غير طلبي ، وقد شكّل القسم الاول الأكثر شيوعا في كتاب (النجوم الزاهرة) ، ويضُم :

- **الأمر:**

الأمر في اصطلاح أهل اللغة: حمل المخاطب على القيام بفعل على وجه الاستعلاء، أو هو صيغة تستدعي الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من الغير على جهة الاستعلاء[106]، وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام، ومن هذه الأغراض المجازية: (الدعاء - الالتماس - النصح والإرشاد) وغير ذلك من الأغراض التي يحددها السياق[107].

ومن أمثلة الأمر قول إدريس بن الحسن الإدريسي[108]: [الكامل]

سَيْفٌ عَلَى الأَعْدَاءِ سُلَّ مُهَنَّدٌ لَا رَاعَ سِرْب وليِّهِ إِغْمَادُهُ
قُلْتُ: اعْلَمُوا عِلْمًا يَقِينًا أَنَّهُ يَبْقَى وَيُبْقَى لِلشَّقَا حُسّادُهُ

ورد في النص الفعل الأمر (**اعْلَمُوا**)، والغرض من فعل الأمر التهديد، لأنه موجه للأعداء؛ فهو يهددهم بأن ممدوحه سيبقى ويبقيهم للشقاء.

وقال إدريس بن الحسن أيضا[109]: [الرمل]

أنـا أولى بـك من كـل فـزدنـي مـنـك جـاهـا

ورد فعل الأمر (**زدني**)، والغرض من الأمر في ذلك البيت الاستعطاف والاسترحام؛ لأنه موجه من الأدنى إلى الأعلى، فالشاعر يستعطف الملك ويستجديه جاها يمنحه إياه؛ فمجيء الأمر ليس على وجه الحقيقة اللغوية.

- **الاستفهام:**

الاستفهام في اللغة: معناه: طلب الفهم؛ يقال: استفهمه. إذا سأله ليفهم ما عنده[110].

الاستفهام في الاصطلاح: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بواسطة أداة من أدواته، وقد يخرج عن ذلك لتقرير أو غيره من الأغراض[111].

والاستفهام من الأساليب الواردة بكثرة في كتاب (النجوم الزاهرة) ، من ذلك قول الأمير أبي الثريا[112]: [الخفيف]

يَـا رَسُـولَ الحَبِيبِ بِـاللهِ قُـلْ لِي: أَرَأَيْـتَ الـحَبِيـبَ يُـعْنَى بِـذِكْري

ورد الاستفهام في هذا البيت (**أَرَأَيْتَ الحَبِيبَ يُعْنَى بِذِكْري**)، والاستفهام هنا غرضه إظهار شدة الشوق والمحبة؛ فالشاعر يتساءل هل أن الحبيب يُعنى بذكرهِ ؛ لأن هذا الفكر قد يكون بشرى باللقاء؛ إذ إن الشاعر في شوق وتوقان لهذا اللقاء.

وقال الأمير جعفر بن شمس الخلافة المصري يمدح الخليفة[113]: [الرمل]

كَيْفَ أَخْشَـى حَـادِثًـا مِنْ زَمَنِي وَلِـيَ الـعَـادِلُ مِـنْـهُ خَـفَـرُ

في هذا البيت ورد أسلوب الاستفهام (**كَيْفَ أَخْشَى**)، والغرض من الاستفهام هنا النفي؛ فالشاعر وهو في سياق المديح يريد أن يعبر عن قوة ممدوحه وحبه واعتماده عليه؛ ومن ثم ينفي أنه يخاف من حوادث الزمان طالما بقي في ظل هذا الممدوح وكنفه وتحت رعايته؛ وعليه جاء بأسلوب الاستفهام مريدا منه نفي مضمونه.

- **النداء:**

النداء في اللغة: ويراد به" الدعاء بأي لفظ كأن تنادي على شخص باسمه، أو أن تحدث صوتا يشعر بالنداء، أو أن تصفر، أو أن تشير إلى إنسان فيفهم أنك تناديه فيُقْبِل"[114].

النداء في الاصطلاح : هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف ناب مناب الفعل (أدعو) أو (أنادي)[115]، وحروف النداء هي: (الهمزة – يا – أيا- هيا، وا، أي) وغيره، ولكل منها موضع يليق بها، والنداء أيضا أسلوب شائع في كتاب (النجوم الزاهرة)، من ذلك قول الشاعر ابن النحاس[116]: [الخفيف]

يَا ابْنَ مَنْ خَلّصَ الخَلَائِقَ مِنْ ظُلْـــــــــمٍ عَنِيفٍ فَفَكَّهُمْ فَاسْتَرَاحُوا

النداء الواقع في هذا البيت (**يَا ابْنَ مَنْ خَلَّصَ الخَلَائِقَ**) نداء للتعظيم؛ إذ إن الشاعر ينادي الممدوح بصفات أبيه وأجداده؛ ومن ثم فالشاعر لم يرد طلب الإقبال من المنادى، وإنما أراد مدحه وتعظيمه، فخرج النداء من معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي يُراد بهِ التعظيم والتفخيم.

وقال الأمير أبو الثريا[117]: [الخفيف]

يَا بَدِيعَ الجَمَالِ أَبْدَعْتَ فِي الهَجْـــــــــــــــــــــــرِ كَمَا أَبْدَعْتَ فِي الأَسْـقَامِ

النداء الواقع في هذا البيت (**يَا بَدِيعَ الجَمَالِ**) نداء للاستعطاف؛ فالشاعر يريد أن يستعطف محبوبته فيناديها بما يوحي بالمدح والثناء على صفاتها، والنداء بالمدائح أو الصفات الحسنة مجلبة للاستعطاف، ومن ثم كان من آداب الدعاء أن ينادي العبد ربه باسمه المناسب لما يطلبه منه، كالرحمن في طلب الرحمة، أو الرزاق في طلب الرزق، وما أشبه ذلك[118].

الخاتمة

- نلخص ممَّا تقدم إلى مضامين تجتمع في رصف بنية النص وترصين مضامينه، فكلما ازداد الوعي الثقافي لدى الشاعر يزداد عمق النص، وهذا في ضوء استعمال اللغة، ونقلها إلى عالمها الأدبي بوساطة الخصائص الفنية.
- أنَّ تنوع استعمال الألفاظ بين الجزالة والرقة، ويؤكد وجود تنوع معرفي، وسعة الملكة الفكرية التي حققت هذه السعة؛ لتكون هذه النصوص هي وسائل تعريفية بقصدية منتج النص .
- وايضا نخلص إلى أنَّ القيمة البلاغية تتحقق في ضوء الأساليب التي تنقل واقعية النص إلى القيم الجمالية، التي ترصد مضامين تنتجها اللغة المواربة، حينما يخرج الأسلوب إلى أبعاده المجازية.
- فقد شكَّلت القصدية المباشرة نمطاً استدعاه الشعراء بغية بث تجربتهم الشعرية في ضوء نصوصهم بطريقة تتوافق وطبيعة عصرهم، بقصدية مباشرة بغية إيضاح ما هم عليه من حال.

الهوامش

(1) ينظر :الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط غرناطة ، د. منجد مصطفى بهجت ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، 1988م :47.
(2) ينظر: المُغرب :1/1.
(3) ينظر: ابن سعيد المغربي حياته وآثاره :76.
(4) ينظر: المصدر نفسه:9.
(5) ينظر: التفاعل :194.
(6) ينظر: المرجع نفسه :165.
(7) ينظر: المُغرب في حلى المغرب :13/1.
(8) النجوم الزاهرة :261.
(9) المصدر نفسه :300.
(10)المصدر نفسه: 27.
(11) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب ، ت :محمد عبد الله عنان، ط1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،1977م :152/4.
(12) ينظر: فوات الوفيات ، محمد بن شاكر الكتبي (764هـ) ، ت: د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت :103/3.
(13) ينظر: الإحاطة في اخبار غرناطة :153/4.
(14) قلعة يحصب: هي قلعة موجودة في الأندلس، بجوار غرناطة، تعرف بشجرة الولد. ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، احمد بن محمد المقري التلمساني ، ت: د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968م: 29/7.
(15) ينظر: المُغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي ، ت: د. شوقي ضيف ، ط2 ،دار المعارف ، مصر،1964 :5/1 .
(16) ينظر: فوات الوفيات :179/2.
(17) ينظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، يوسف بن تغرى بردي الأتابكي جمال الدين أبو المحاسن (ت874 هـ) ، ت:د. محمد محمد أمين ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1999م :228/8.

(18) ينظر: نفح الطيب :274/2.
(19) ينظر: الإحاطة : 158/4.
(20) ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ت: محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط1 ،1967م:555/1.
(21) ينظر: الديباج المذهب ،ابن فرحون المالكي (ت799هـ) ، ت: د. محمد الاحمدي ابو نور ، دار التراث ، القاهرة :112/1.
(22) كتاب الجغرافيا ، ابن سعيد المغربي ، ت إسماعيل العربي ، المكتب التجاري ، بيروت ، ط1 ، 1970م . ، و صبح الأعشى :106/5.
(23) نفح الطيب:178/1.
(24) ذكره السيوطي في حسن المحاضرة :555/1 ، لكنه لم يصل الينا
(25) المصدر نفسه : 4/ 306.
(26) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ، ابن سعيد ابي الحسن علي بن موسى الأندلسي (685هـــ) ،ت ابراهيم الإيباري ، دار المعارف ، مصر ، ذخائر العرب 14 ، 2009م ، و بغية الوعاة:209/2.
(27) الوافي بالوفيات : 80/7.
(28) المغرب في حلى المغرب:8/1 ، لكنه لم يصل الينا .
(29) المرقصات والمطربات ، ابن سعيد المغربي ، ت: الدكتور محمد حسين المهداوي و الدكتور عدنان محمد آل طعمة ، دار الفرات للثقافة والإعلام ، بابل ،العراق ، 2020.
([30]) المشرق فيما يحاضر به من آداب المشرق ، ابن سعيد المغربي ، ت: الشيماء سامي ، نور للنشر ،2017م.
(31) المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد المغربي ،ت: د شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ،1964 م .
(32) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، ابن سعيد المغربي ، ت: د0 نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، عمان ، الأردن ، 1982 . و الجغرافيون والرحالة المسلمون :184.
(33) نفح الطيب:273/2.
34() ينظر: الأدب وفنونه - دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، د.ت: 25.
35() ينظر: الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 2003م: 130.
36() ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1، 1979م: 4/ 506، وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، دار الهداية، لبنان، ط1، د.ت: 7/ 18.
37() ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ت: د. محمد عبد المنعم خفاجي دار الجيل ، بيروت، ط3، د.ت: 1/ 21.
38() النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، ابن سعيد المغربي ، ت: د. حسين نصار ، دار الكتب ، 1970 م:98- 99.
(39) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة :1/ 23-24.
40() ينظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1982م: 66.
41() ديوان المتنبي، دار بيروت، لبنان ، 1983م :438.
42() ينظر: الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، عصام الدين ابن عربشاه، ت: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، د.ت: 1/ 162.
43() النجوم الزاهرة : 102.
44() ينظر: المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية الكلبي، ت: إبراهيم الأبياري – د. حامد عبد المجيد – د. أحمد أحمد بدوي، دار العلم للجميع، بيروت، 1955م: 192.
45() النجوم الزاهرة: 26.
46() ينظر: مقاييس اللغة: 1/ 453.
47() قواعد الشعر، أحمد بن يحيى ثعلب، ت: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط2، 1995م: 63.
48() النجوم الزاهرة: 201.
49() ينظر: قواعد الشعر: 63.
50() النجوم الزاهرة: 26.
51() ينظر: الصحاح: 5/ 1817.
52() ديوان طرفة بن العبد، ت: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2002م: 31.
53() لسان العرب ، ابن منضور ، ط3 ،دار صادر ، بيروت ،1414هـ: 121/10.
54() ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه: 17.
55() ينظر: أصول الإنشاء والخطابة، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ت: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، ط1، 1433هـ: 85.
56() النجوم الزاهرة : 341.
57() المصدر نفسه: 201.

58() ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومة ، القاضي الجرجاني، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبي ، مصر، د.ت: 20.
59() ينظر: النجوم الزاهرة: 230.
60() ينظر: المصدر نفسه: 230.
61() ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، المكتبة العصرية ، بيروت، ط1، 1423هـ:1/ 59.
62() ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه: 18.
63() النجوم الزاهرة: 341.
64() المصدر نفسه: 231.
65() لسان العرب: 5/ 233.
66() ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م: 1/ 316.
67() النجوم الزاهرة: 217.
68() ينظر: لسان العرب: 2/ 501.
69() ينظر: الصحاح: 5/ 1822.
70() النجوم الزاهرة: 232.
71() ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، أبو إسحاق الزجاج، ت: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، لبنان، ط1، د.ت: 44.
72() الشورى : 19 .
73() ينظر: الصحاح: 2/ 804 وينظر: تاج العروس للزبيدي:14/ 27.
74() ينظر: الكتاب، سيبويه، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط3، 1988م: 4/ 319.
75() ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه : 2/ 73.
76() النجوم الزاهرة: 212.
77() ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن ابي الاصبع المصري، ت: د. حفني محمد شرف، لجنة احياء التراث الإسلامي، مصر، 1963م: 375.
78() النجوم الزاهرة: 228.
79() المصدر نفسه: 232.
80() العمدة لابن رشيق القيرواني: 2/ 74.
81() ينظر: المفتاح في الصرف لعبد القاهر الجرجاني، ت: د. علي توفيق الحَمَد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1987م: 62.
82() النجوم الزاهرة: 213.
83() لسان العرب: 5/ 213.
84() النجوم الزاهرة: 213.
85() ينظر: لسان العرب: 116/12.
86() الموروث الديني في شعر أحمد بخيت، د. أحمد يحيى الدرويش، بحث منشور في مجلة السواقي، أسيوط، 2019م: 43.
87() الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1997م: 44.
88() النجوم الزاهرة: 214.
89() ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، أبو منصور الإسفراييني، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ط2، 1977م: 352.
90() النجوم الزاهرة: 214.
91() البقرة : 183- 185.
92() النجوم الزاهرة: 215.
93() ينظر: التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، عبد الحي الكتاني، ت: عبد الله الخالدي، دار الأرقم ، بيروت، ط2، د.ت: 1/ 91.
94() النجوم الزاهرة: 217.
95() ينظر: الأسلوب: 40.
96() دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمود محمد شاكر، دار المدني ، جدة، ط3، 1992 م: 81.
97() ينظر: مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987 م: 166.
98() ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 1/ 57.
99() ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي، د. حسن طبل، مكتبة الإيمان ، مصر، ط2، 2004 م: 55.
100() النجوم الزاهرة: 225.
101() المصدر نفسه: 226.

102() ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي: 55.
103() النجوم الزاهرة: 238.
104() ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي: 55.
105() النجوم الزاهرة: 246.
106() ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:3/ 155.
107() ينظر: أساليب بلاغية، أحمد مطلوب الناصري، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م: 112.
108() النجوم الزاهرة: 212.
109() المصدر نفسه: 213.
110() ينظر: الصحاح: 5/ 2005.
111() ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح-، بهاء الدين السبكي، ت: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003 م: 1/ 423.
112() النجوم الزاهرة: 228.
113() المصدر نفسه: 230.
114() ينظر: شرح الوافية ونظم الكافية، ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، د.ت: 322.
115() ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح:1/ 474.
116() النجوم الزاهرة: 229.
117() المصدر نفسه: 231.
118() ينظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه، نجم الدين الغزي، ت: نور الدين طالب، دار النوادر ، سوريا، ط1، 2011م: 5/ 238.

المصادر والمراجع

أولاً_ القران الكريم.
ثانياً_ الكتب.
1.أساليب بلاغية، أحمد مطلوب الناصري، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م.
2.أصول الإنشاء والخطابة، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ت: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، ط1، 1433هـ.
3.الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ت: د. محمد عبد المنعم خفاجي دار الجيل ، بيروت، ط3، د.ت.
4.سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1982م.
5.الأدب وفنونه - دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، د.ت.
6.الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 2003م.
7.الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، عصام الدين ابن عربشاه، ت: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، د.ت.
8.تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، دار الهداية، لبنان، ط1، د.ت.
9.تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن ابي الاصبع المصري، ت: د. حفني محمد شرف، لجنة احياء التراث الإسلامي، مصر، 1963م.
10.التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، عبد الحي الكتاني، ت: عبد الله الخالدي، دار الأرقم ، بيروت، ط2، د.ت.
11.التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، عبد الحي الكتاني، ت: عبد الله الخالدي، دار الأرقم ، بيروت، ط2، د.ت.
12.تفسير أسماء الله الحسنى، أبو إسحاق الزجاج، ت: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، لبنان، ط1، د.ت.
13.جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، مؤسسة المعارف ، بيروت ، د.ت.
14.حسن التنبه لما ورد في التشبه، نجم الدين الغزي، ت: نور الدين طالب، دار النوادر ، سوريا، ط1، 2011م.
15.دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمود محمد شاكر، دار المدني ، جدة، ط3، 1992 م
16.ديوان المتنبي، دار بيروت، لبنان ، 1983م.
17.ديوان طرفة بن العبد، ت: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2002م.

18.ديوان عمرو بن كلثوم، جمع وشرح: إيميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1، 1991م.
19.شرح الوافية ونظم الكافية، ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، د.ت.
20.الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1997م.
21.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،ابو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت398هـ) ،ت: د. محمد محمد تامر واخرون ، دار الحديث ، القاهرة ، 2009م.
22.الصحيفة السجادية ، الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، ت:حاج عبد الرحيم أفشاري زنجاني ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ،ايران ، 1404ه.
24.الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، المكتبة العصرية ، بيروت، ط1، 1423هـ.
25.عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح،ـ بهاء الدين السبكي، ت: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003م.
26.علم المعاني في الموروث البلاغي، د. حسن طبل، مكتبة الإيمان ، مصر، ط2، 2004 م.
27.الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، أبو منصور الإسفراييني، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ط2، 1977م.
28.في تاريخ الأدب الجاهلي، د. علي الجندي، مكتبة دار التراث ـ مصر، ط1، 1991م.
29.قواعد الشعر، أحمد بن يحيى ثعلب، ت: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط2، 1995م.
30.الكتاب، سيبويه، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط3، 1988م.
31.لسان العرب ، ابن منضور ، ط3 ،دار صادر ، بيروت ،1414هـ.
32.المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
33.المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية الكلبي، ت: إبراهيم الأبياري – د. حامد عبد المجيد – د. أحمد أحمد بدوي، دار العلم للجميع، بيروت، 1955م.
34.مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987 م.
35.المفتاح في الصرف لعبد القاهر الجرجاني، ت: د. علي توفيق الحَمَد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1987م.
36.المفصل في صنعة الإعراب، جار الله الزمخشري، ت: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م.
37.مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1، 1979م.
38.الموروث الديني في شعر أحمد بخيت، د. أحمد يحيى الدرويش، بحث منشور في مجلة السواقي، أسيوط، 2019م.
39.النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، ابن سعيد المغربي ، ت: د. حسين نصار ، دار الكتب ، 1970 م.
40.الوساطة بين المتنبي وخصومة ، القاضي الجرجاني، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبي ، مصر، د.ت.